تمتد زمنياً، تتغير أسماء شخصياتها، وتواريخها وخلفياتها، كأنها تتناسخ من جديد في كل مرة، بشكل آخر، لتعيش في زمن آخر، متفاعلة مع تاريخها، ومكتسبة تجربة جديدة» (ص ١٤٨).

ومن هنا يسلسل الكاتب النمو الزمني الروائي، بين رواية وأخرى، مبتدئاً برواية «صراخ في ليل طويل»، ماراً بـ«صيادون في شارع ضيق» التي كتبها الأستاذ جبرا باللغة الانكليزية، ثم تأتي رواية «السفينة» لينتهي برواية «البحث عن وليد مسعود».

وتحت عنوان فرعي كبير: «ضعف الحدث المحوري وتفجيره»، يتحدث الزميل وادي عن:

١ ــ فعل الذاكرة، ودورها المؤثر في حياة شخوص الرواية، ويعني هنا رواية «صراخ في ليل طويل» ــ على ما أعتقد ــ دون الاشارة الى التأثير الفني العام الذي تركته رواية الكاتب الايرلندي الكبير «جيمس جويس» بعنوان: «بوليسيز»، وزمنها أيضاً يوم واحد، خاصة وأن الزمن هنا هو الأهم بعد ما احتوته الذاكرة.

٢ ــ تشابك العلاقات بين الشخصيات بهمومها الذاتية.

٣ ــ الهموم، الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية، لهذه الشخصيات.

بعد ذلك، يأتي على الروايات بالتحليل والبحث الدقيق، واحدة تلو الأخرى. وهنا نود أن نسجل للكاتب رؤيته السابرة لأغوار شخوص الروايات التي يعالجها، بالعرض والتحليل، وقدرته على استنباط ماهية الرمز، وأبعاده، ومراميه. ومن هنا، يأتي الاعتقاد بأنه كان يستطيع أن يرتقي بمعالجته لمجمل الروايات، لو أنه قارن بين «جبرا ابراهيم جبرا»، المتأثر مباشرة بالأدب الروائي الانكليزي الحديث، من خلال روايته «الصراخ في ليل طويل»، مع رواية جيمس جويس.

وتحت عنوان فرعي آخر هو: «ملامح شخصية الفلسطيني الأساسية»، يحدثنا الكاتب عن هذه الملامح، كما رسمها جبرا ابراهيم جبرا في رواياته، ويقول: ان الفلسطيني هو محور أساسي في شخصيات جبرا الروائية، إن لم يكن المحور، باستثناء روايته الأولى «صراخ في ليل طويل».

ينتقل بعد ذلك الى موضوع آخر وهو «ثورية المثقفين وعجزهم». وهنا، يناقش «وادي» الايديولوجية البورجوازية التي ينطلق منها جبرا ابراهيم جبرا، وتناقضه مع التأويلات الماركسية لصعود البورجوازية العربية، وذلك بخلط بين البورجوازية العربية والبورجوازية الأوروبية، ويطيل في الحديث حول هذا الموضوع، بحيث يبدو التحليل النهائي في الكتاب تحليلاً سياسياً لشخصيات أدبية، وهنا، يمكن القول: إن الوعي الطبقي للكاتب لم يكن وليد صدفة، ولذا نرى أنه ليس من الضرورة الاسترسال في إقناعنا بتعارض تأويلات «جبرا» الفكرية مع تأويلات الماركسية.

ويعود الكاتب فيحلل الشخصيات من جديد، ملخصاً أحداث الروايات الأربع، التي جعلت من الكاتب الكبير علامة بارزة في الرواية الفلسطينية.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، خاصة وأن الكاتب لم ينتقِ هذه العلامات انتقاءً عشوائياً، اذ أنهم هم الذين قدموا، فعلاً، الملامح الأساسية للرواية الفلسطينية، هذه الملامح التي نأمل في أن نرى تطويراً لها، في أعمال روائيينا الفلسطينيين، خاصة، وأن عدداً من الروايات الفلسطينية، والتي صدرت في فترات متفاوتة، منذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن، ليست أكثر من ارهاصات أولية ورجم في غيب عالم الرواية، ليس الا، مع الاستثناءات البسيطة لاسمين أو ثلاثة.

وكتاب فاروق وادي يأتي ليؤكد هذه الحقيقة في تحديده للعلامات البارزة في الرواية الفلسطينية.

عمر صبري كتمتو